حلول البركات في الإكثار بإخراج الصدقات

2022-08-19

الحمد لله الكريمِ المنَّانِ، جليلِ النِّعَم جزيلِ الإحسان، مضاعف الحسنات لأهل الجود والبرّ والإحسان. والمتأذِّن بالزيادة لذوي الشُّكْران. أنزل في سورة الحديد من الذكر الحكيم:((إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)). فسبحانه من إله فتح بصائر من سبقت لهم السعادة لفهم هذا الخطاب العظيم. فتصدّقوا بما لديهم من حقير وجسيم. وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، رفع مقام المتصدّقين والمتصدّقات. وأدخلهم من العناية حصنا حصينا. وأدام لهم البركات. وأورثهم توكّلا زائدا عليه ويقينا. وتأذّن بالخلف والمزيد للمنفقين. وبمضاعفة برّه للمحسنين. إذ قال في سورة سبأ وهو أصدق القائلين:((وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وصَفِيُّهُ من خلقه وخَلِيلُهُ، أرشدَنَا إِلَى عَمَلِ الصالحاتِ، وفعلِ القرباتِ، التي يجْري ثوابُها فِي الحياةِ وبعدَ المماتِ، وهو القائل صلى الله عليه وسلم:((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)).

هذا محمّدُنا للحقّ أرشَدَنا * ومِنْ بحار الرَّدَى والهُلْكِ أَنقذنا

هذا الذي جاء بالحقّ الْمُبِينِ لنا * وأذهب الشِّرْك بالآيات والحُجَجِ

صلّوا على المصطفى ذي الْمَنْظَرِ البَهِجِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الجامع لأشتات المحاسن ومكارم الأخلاق. وعلى آله المنتخبين من أطيب العناصر ونفائس الأعراق. وصحابته الذين كانوا في المسارعة إلى الخيرات من السبّاق، فكانوا ينفقون ممّا يحبّون، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ توكّلا على الملك

الرزّاق. صلاة تنفّس بها عنّا الخناق. وتفتح لنا بها الأغلاق. وتدرّ بها علينا سحائب الأرزاق. وتكفينا بها نكبات الدهر وشرّ الإملاق. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لَقَدْ فَرَضَ اللهُ عزَّ وجلَّ حُقُوقًا في المَالِ، وَوَعَدَ علَى أَدَائِها السَّعَادَةَ في الدُّنيا وَالنَّجاةَ في المَآلِ، وتَأتِي في مُقَدِّمَةِ هَذهِ الحُقُوقِ الزَّكاةُ المَفْرُوضَةُ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بها عِبادَهُ المَالِكِينَ لِلنِّصابِ، وقَرَنَها بِالصلاةِ في أَكثرِ مِنْ ثَمَانينَ آيةٍ في الكِتابِ، ولِلزَّكَاةِ أَسْرَارٌ نَفْسِيَّةٌ وَخُلُقِيَّةٌ وَاجتِمَاعِيَّةٌ، فَهِيَ طَهَارَةٌ لِنَفْسِ المُزَكِّي مِنْ دَاءِ الشُّحِّ، وَهُوَ دَاءٌ خَطِيرٌ، حَذَّرَ مِنْ عَوَاقِبِهِ البَشِيرُ النَّذِيرُ صلى الله عليه وسلم. ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ علَى أنْ سَفَكُوا دِماءَهُمْ واسْتَحَلُّوا مَحارِمَهُمْ)). وفي صحيح أبي داوود عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إيَّاكُم والشُّحَّ، فإنَّما هلَكَ مَن كانَ قبلَكُم بالشُّحِّ، أمرَهُم بالبخلِ فبخِلوا، وأمرَهُم بالقَطيعةِ فقطعوا، وأمرَهُم بالفجورِ ففجَروا)). وَلذا كَانَ المُحَافِظُ عَلَى الزَّكَاةُ مِنَ المُفلِحِينَ؛ مِصْدَاقًا لِقَولِ رَبِّ العَالَمِينَ في سورة التغابن:((وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). وَكَمَا تُطَهِّرُ الزَّكَاةُ نَفْسَ الغَنِيِّ مِنْ دَاءِ الشُّحِّ. تُطَهِّرُ أَيضًا نَفْسَ الفَقِيرِ مِنْ دَاءِ الحَسَدِ الخَطِيرِ، لأَنَّ مِنْ شَأْنِ الإِحْسَانِ أَنْ يَستَمِيلَ قَلْبَ الإِنْسَانِ، وَمِنْ شَأْنِ الحِرْمَانِ أَنْ يَمْلأَ القُلُوبَ بِالأَحقَادِ وَالأَضغَانِ، وَإِذَا عَاشَ الغَنِيُّ وَالفَقِيرُ فِي حُبٍّ وَإِخَاءٍ؛ استَقَرَّتِ البَرَكَةُ وَتَحَقَّقَ الرَّخَاءُ. أيّها المسلمون. إنّ الله تعالى عندما دعا الناس إلى الإنفاق في سبيله، علم مشقّة ذلك على النفوس، والناس لا ينالون المال في الغالب إلا بِجَهْد ومشقّة وعَنَت؛ فكان إنفاقهم امتحاناً شاقًّا، لذلك رتّب الله عليه من الأجور الشيء الكثير، وَجَاءَتِ الآيَاتُ القرآنية والأحاديث النبوية مُرَغِّبَةً فِي بَذْلِ المَالِ بِشَتَّى الصُّوَرِ وَالوُجُوهِ، فَتَارَةً يَأْتِي ذِكْرُ مُضَاعَفَةِ اللهِ لِثَوَابِ المُنْفِقِ في قَوله تَعَالَى في سورة البقرة:((مَّثَلُ

الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)). وَتَارَةً بِضَمَانِ الإِخْلافِ عَلَى العَبْدِ. قال تعالى في سورة سبأ:((قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ))، وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هُريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ:((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ عزّ وجلّ)). ذَلِكَ لأَنَّ أَبْوَابَ الرِّزقِ مُشْرَعَةٌ، وَمَفَاتِحَ خَزَائِنِ اللهِ لا يَعلَمُهَا إلاَّ هُوَ، فَكَمْ مِنْ نَفَقَةٍ قَلِيلَةٍ أَعقَبَهَا رِزقٌ وَافِرٌ، وَكَمْ مِنْ صَدَقَةٍ مُبَارَكَةٍ رَفَعَتْ مِنَ الشُّرُورِ وَالمَغَارِمِ مَا لا يَعلَمُهُ إلاَّ اللهُ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:((تَصَدَّقُوا؛ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَمِيتَةَ السُّوءِ))، فَكَمْ لِلصَّدَقَةِ مِنْ فَضْلٍ، وَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ نِعَمٍ. وَدَفَعَتْ مِنْ نِقَمٍ، وَتَسَبَّبَتْ فِي دَعْوَةٍ مُستَجَابَةٍ مِنْ قُلُوبٍ صَادِقَةٍ، قال تعالى في سورة البقرة:((وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)). وَهَكَذَا يَستَعْمِلُ القُرآنُ الكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ أَسَالِيبَ التَّرْغِيبِ فِي أَمْرٍ فِيهِ مِنَ المَصلَحَةِ الاجتِمَاعِيَّـةِ مَا لاَ يَخْفَى. أيّها المسلمون. والإنسان المخلِص الصادق يعلم أنّ الله امتحنه بما جعل تحت يده، وأنّ عليه أن يقوم لله بالحق الذي فيه، فإنّ لله حقًّا في هذا المال، وهذا الحق لا بدّ أنْ يعرفه الإنسان في ماله، وأنْ يؤدّيه، قال الله تعالى في سورة المعارج:((وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)). أيْ يقدّرونه في أنفسهم، ويعلمون الحق الذي عليهم؛ فلذلك يقوم الأغنياء بمسئوليّتهم اتّجاه الفقراء، ولا يُعْفَى الفقراء أيضاً من الإنفاق، بل الإنفاق خطاب عامّ يستوي فيه الغني والفقير، الجميع مخاطَب، لكن كلٌّ يُنْفِق على حَسَب طاقته، فالله عزّ وجلّ يقول في سورة الطلاق:((لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)). وقد بيّن سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح:((أنّ الفقراء

القرّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يذهبون إلى الجبل فيحتطبون، فيبيعون الحطب، فيتصدّقون بثمنه على الفقراء، وكانوا يقومون الليل، ويعلّمون الناس القرآن، فيأخذ أحدهم حَبْله في الصباح ويذهب إلى الجبل، فيأتي بالحطب، فيبيعه، فينفق به على أسرة فقيرة، فيكون قد زكّى نفسه وماله)). أيْ زكّى نفسه بإعمالها في مرضات الله، وتحرّكها في عمل الخير، والنفوس التي لا تتحرّك ستبقى جامدة، ويركبها الشيطان عند ذلك، لكن الحركة في الخير بركة؛ أيّها المسلمون. والصدقة طهرة للبدن. وزكاة للنفوس. تؤلّف بين القلوب. وتجمع الشتات. فالقليل من المال يطفئ حر القبر. فقد أخرج الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ. وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ)). واليسيرُ منَ البذلِ يستُر منَ النار، ففي صحيح البخاري قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((يَا عَائِشَةُ، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ))، وإنّ الصدقة لتطفئ لهب المعصية. فإنّ لكل معصية لهبًا، روى التِّرمذيُّ عن معاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، قالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ))، أيّها المسلمون. والصدقة دليل على صِدق إيمان العبد. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:((وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ)). فهي برهان على إيمان العبد، لأنّ النّفس مجبولة على حبّ المال، قال تعالى في سورة الفجر:((وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)). فإذا تغلّب المسلم على نفسه، وأنفق في سبيل الله، كان ذلك برهان على أنّه يقدّم مرضاة الله تعالى على شهوات نفسه، قال تعالى في سورة التغابن:((وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). قال الحسن البصري رحمه الله:((إذا أردتَ أن تَعلم مِن أين أصاب الرجل مالَه فانظر فيما أنفقه، فإنّ الخبيث يُنفَق في السَّرَف)). والحقّ تبارك وتعالى يقول في سورة الحديد:((ءامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ

لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)). فقرن سبحانه في هذه الآية الكريمة بين الإيمان به وبرسوله. وبين الإنفاق في سبيله، هذا الإنفاق الذي لا يقدر عليه إلاّ المتّقون، ولا يوفّق إليه إلاّ الفائزون السابقون، ولا يُحرم منه إلاّ الأشقياء والمخذولون، يقول سبحانه في سورة البقرة:((الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)). ويقول جلّ وعلا في سورة الأنفال:((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)). وإنّ الوعد الحقّ الصادق الذي لا يتخلّف موعوده، هو وعد الله الذي وصف به نفسه في محكم التنزيل. وأصدق القيل. حيث قال سبحانه في سورة يونس:((أَلاَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)). وقال جلّ شأنه في سورة فاطر:((يأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ)). ولقد كان ممّا وعد الله به المؤمنين المنفقين أموالهم في وجوه الخيرات. حُسن العاقبة. بكمال الإخلاف عليهم. كِفاء البذل والسخاء بمال الله الذي آتاهم إيّاه، واستخلفهم فيه، تفضّلاً منه ومنّاً، وجوداً وإحساناً. وبرّاً وكرماً، فقال عزّ اسمه في سورة سبأ:((قُلْ إِنَّ رَبّي يَبْسُطُ ٱلرّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مّن شَيْء فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ)). أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به مولاكم وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدَل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((قَالَ اللَّهُ أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)). وفي الصحيحين أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)). ألا وإنّ دعاء المَلَك بالإخلاف على المنفِق عام في الدنيا.

بحصول البركة في المال ونمائه. وطِيبه وازدياده، وفي الآخرة بحُسن الثواب. وكريم الجزاء. وأمّا دعاء المَلَك الآخَر على الممسِك بالتّلف. فهو إمّا بذهاب ذلك المال بعينه، أو بتلف نفس صاحب المال، والمراد به فوات أعمال البرّ بالتشاغل بغيرها. أيّها المسلمون. والمنفِق تتيسَّر له أمور الحياة، وأمور ما بعد الممات. قال عز وجل:((فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)). وفي هذا الزمان. فإنّ القلوب تعلّقت بالمال. ولهث أصحابها وراء الدنيا. وانشغلوا بها. كلّما أراد أحدهم أن ينفق. خنست إليه نفسه. وهمس له الشيطان: إياك أن تنسى أنّ الأيام بأخواتها. أنت اليوم تملك المال. وربما غدا تفقده. فامسكه ليوم تحتاجه فيه. ثم إنّ هذا المال. جمعته بكدّك وعرق جبينك، فلماذا يستحوذ عليه ذلك الفقير بلا عناء أو تعب؟ فتنطلي خدعة النفس ووسوسة الشيطان على الإنسان؛ ليردّ ماله في جيبه، ولا يتصدّق. وكم دُعي المسلم إلى الصدقة، فيجلس يقلّب الأعذار، أو يرمي السائل بالكذب. وعدم الحاجة والإحتيال، ولا شك أنّ التثبّت في وضْع الصدقة في محلّها مهمّ، لكن لا تكون تلك الأعذار حاجزةً للمسلم عن التصدّق والبذل، فكلّما رأى سائلاً تجنّبه، وكلما أُلقي عليه باب من أبواب البذل تعلّل وتهرّب، فتمضي الأيام وتتعاقب الشهور وتتوالى السنوات. ولم يخرج ولو شيئاً قليلا في سبيل الله. أليس هذا هو الحرمان. فقد جاء في صحيح الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ. قَالَ: اعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ. قَالُوا: مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ. قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ. قُلْنَا: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّمَا لأَحَدِكُمْ مِنْ مَالِهِ مَا قَدَّمَ. وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ)). أيّها المسلمون. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَحْتَقِرُ قَلِيلَ الصَّدَقَةِ فَلَا يَبْذُلُهُ، فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَمُدَّ لِلْفَقِيرِ درهمًا، وَيَخْجَلُ أَنْ يُقَدِّمَ شَيْئًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ قِطْعَةً مِنْ لِبَاسٍ أَوْ أَثَاثٍ. وَكَمْ مَنَعَ قِلَّةُ مَا

بِيَدِ الْوَاحِدِ مِنَ الْإِنْفَاقِ. وَكَمْ مِنْ عَازِمٍ عَلَى الصَّدَقَةِ نَظَرَ فِي مِحْفَظَتِهِ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ مَالٍ فَأَحْجَمَ عَنِ الصَّدَقَةِ، وَكَمْ بَقِيَ لِلْوَاحِدِ مِنْ غَدَائِهِ وَعَشَائِهِ فَاسْتَقَلَّ أَنْ يُطْعِمَ بِهِ أَحَدًا. مَعَ أَنَّ اللُّقْمَةَ الْوَاحِدَةَ تَكْسِرُ حِدَّةَ الْجُوعِ، وَقَدْ عَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ اللُّقْمَةَ وَاللُّقْمَتَيْنِ، وَالتَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ. بَلْ عَدَّ صلوات ربي وسلامه عليه مَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ عَظِيمٍ يُبَيِّنُ أَهَمِّيَّةَ الصَّدَقَةِ، وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَةً، فَفِي حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ))، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ)). وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)). وَلِحَدِيثِ التَّصَدُّقِ بِشِقِّ التَّمْرَةِ مُنَاسَبَةٌ مُهِمَّةٌ؛ وَهِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُحَاصَرٌ بِعَمَلِهِ، وَالنَّارُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فقد رَوَى الشَّيْخَانِ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)). فَلْنَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ الْمُخِيفَ الَّذِي تُنْجِي فِيهِ الصَّدَقَةُ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ كَانَتْ صَدَقَةً قَلِيلَةً كَشِقِّ تَمْرَةٍ. أيّها المسلمون. لقد فاز وسعد من قدّم لآخرته من دنياه. وأنفق في كل أمر يحبّه ويرتضيه مولاه. ولقد خاب وخسر من بخل بها وطلب منها الإزدياد. وهو يعلم أنّه عن قريب يرحل عنها فيخلّفها وراء ظهره ويقدم على الله بلا زاد. فينتفع بها غيره ويحاسب هو عليها يوم المعاد. أخرج الإمام مسلم وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((يَقُول الْعَبْد مَالِي مَالِي. وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَاله ثَلَاث: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى. أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى. أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى. وَمَا سِوَى فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ)). وأخرج

الترمذي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((يُجَاءُ بابنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ. كَأَنَّهُ بَذَجٌ. فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ الله تَعَالَى. فَيَقُولُ الله: أَعْطَيْتُكَ، وَخَوّلتُكَ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ. فَمَاذَا صنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: جَمَعْتُهُ، وَثَمّرْتُهُ، وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ. فارْجِعْنِي آتِكِ بِهِ كُلّهِ. فَيَقُولُ لَهُ: أَرِنِي مَا قَدّمْتَ. فَيَقُولُ: يَا رَبّ جَمَعْتُهُ. وَثمّرْتُهُ. فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ. فارجِعْنِي آتِكِ بِهِ كُلّهِ. فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدّمْ خَيْراً. فَيُمْضَى بِهِ إِلَى النّارِ)). فاحذروا رحمكم الله. هذا الوعيد العظيم. وتصدّقوا. لتنالوا الأجر الوافر والخير العميم. ولا يغلبنّكم الشيطان عن إخراجها فإنّه لكم شديد العداوة والبغضاء. كما قال تعالى في سورة البقرة:((الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ)). فخالفوه عباد الله فيما يريد. واعلموا أنّه ما نقص مال من صدقة بل يزيد. فإنّ الله تعالى يقول في كتابه المبين:((وَمَا أَنفَقْتُمْ مّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ)). ويقول سبحانه في سورة البقرة:((وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)). وأخرج الإمام أحمد ومسلم والنسائي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)). وأخرج مسلم وابن أبي الذنيا واللفظ له أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((الصدقة لا تزيد المال إلاّ كثرة)).

أيّها المسلمون. ولِلإِنفَاقِ آدابٌ، يَنبغي لِلمُنفِقِ أَنْ يَتحلَّى بِها حتَّى يَكُونَ حَرِيًّا بِالثَّوابِ، فَمِنْ تِلْكَ الآدابِ أَنْ يكونَ الإنفاقُ بوَجْهٍ طَلْقٍ، وَلْيَحرصِ المُنفقُ على الكِتمانِ قَدْرَ الإمكانِ؛ ابتغاءَ الإخلاصِ للهِ في العَطاءِ، والبُعدِ عنِ السُّمعَةِ والرِّياءِ، فَقَدْ أَخبَرَ صلى الله عليه وسلم عَنْ سَبْعةٍ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلَّهُ وذَكَرَ مِنْ ضِمنِهِم:((رَجُلٌ تَصَّدقَ بِصدَقةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لاَ تَعْلَّم شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ))، وَيِنْبَغِي أَنْ يُرَاعِيَ المُنفِقُ فِي صدَقَتِهِ ذَوُي الحَاجَاتِ مِنْ عُمُومِ المُسلِمينَ، وَلاَ يَقْصِرَهَا عَلَى الأَرْحَامِ أوِ السَّائِلِينَ، فَهُناكَ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَحْسَبُهُم أَغْنِياءَ، وَلكِنْ مَنَعَهُم عَنِ السُّؤَالِ التَّعَفُّفُ وَالحَيَاءُ، قال تعالى في سورة البقرة:((يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا)). وَيبلُغُ الأَدَبُ غَايَتَهُ حِينَ

يَعْلَمُ المُتصدِّقُ أَنَّ مَا يُقَدِّمُهُ حَقٌّ لِهَؤَلاءِ سَاقَهُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَلا يُرِيدُ مِنهُم جَزَاءً ولا شُكُورًا، فَيجِبُ عَلَى المُنفِقُ ألاّ يَمُنَّ وَلا يُؤذِ مَنْ أَعْطَاهُم، لأنَّ المُنفِقَ مَا أَعطَى الفَقِيرَ إلا حَقَّهُ، فَلاَّ مِنّةَ لَهُ عَليهِ، وَإِنَّمَا يَشكرُهُ الفَقِيرُ لِأنهُ سَبَبٌ فِيمَا سَاقَهُ اللهُ إليهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى في سورة البقرة:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى)). أيّها المسلم، أنظر إلى المستحقّين للصّدقات. فابحث عنهم. المتعفّفين عن سؤال النّاس، الذين وصفهم الله تعالى بقوله في سورة البقرة:((يَحْسبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لاَ يَسْئَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا)). وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال:((ليس المسكينُ الذي تردّه اللّقمة واللقمتان، إنّما المسكين الذي لا يسأل الناس، ولا يُفْطَن له فيتصدَّق عليه)). فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَلْتَكُنِ النُّفُوسُ سَخِيَّةً، والأيْدِي بِالخيرِ نَدِيَّةً، وَمَنْ بَذَلَ اليَومَ قَليلاً جَنَاهُ غَدًا كَثِيرًا، تِجَارَةٌ مَع اللهِ رَابِحَةٌ، وَقَرْضٌ للهِ حَسنٌ مَردُودٌ إليهِ أضْعَافًا مُضَاعَفةً، قَالَ تَعَالَى في سورة:((الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)). ولنكثِ من الصدقات قَبْلَ أَنْ يَتَحَسَّر أَحَدُنَا عَلَى الصَّدَقَةِ، حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الحَسْرَةُ، وَاحْفَظُوا قَوْلَ اللهِ تعالى:((وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)). عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ تَنْجَلِي الحَقِيقَةُ التي نَسِينَاهَا أَو تَنَاسَيْنَاهَا، نَحْنُ بِحَاجَةٍ إلى أَجْرِ الصَّدَقَةِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَةِ الفَقِيرِ إلى صَدَقَتِنَا، لِأَنَّ هَذَا العَبْدَ الذي قَالَ عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ:((رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ)). وَاللهِ مَا قَالَهَا رَحْمَةً بِالفُقَرَاءِ، بَلْ قَالَهَا رَحْمَةً بِنَفْسِهِ تَحَسُّراً عَلَى مَا قَصَّرَ فِي حَقِّ الفَقِير. وَمَا فَوَّتَ عَلى نَفْسِهِ مِنَ الأَجْرِ الكثير. اللهم وفّقنا للبذل والصدقات. واهدنا للمعروف وفعل الخيرات. وثقّل موازيننا يوم القيامة بالحسنات. اللهمَّ اجعَلنا من المحسنين المنفقين. ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ النَّادِمِينَ. اللهمّ لا تجعل الدنيا أكبر همّنا. ولا مبلغ علمنا. واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير.

والموت راحة لنا من كلّ شرّ. وتوفّنا وأنت راض عنّا. اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين. اللَّهُمَّ آتِ نَفوسنا تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أنتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أنتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا. اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق. لا يهدي لأحسنها إلا أنت. واصرف عنّا سيّئها. لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ